

قضية الصدق والكذب عند ابن البناء المراكشي

The assue of truth and lies according to bn-Banna al-Marrakchi

ط.د. فاطنة غافل*

*ط.د. فاطنة غافل

تاريخ النشر: 2023/05/10	تاريخ القبول: 2023/03/04	تاريخ الإرسال: 2022/06/28
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يسعى هذا المقال إلى مساءلة المنجز النقدي لابن البناء المراكشي من خلال كتابه "الروض المربع في صناعة البديع" وإبراز أهم آرائه النقدية في قضية الصدق والكذب وكذا آراء النقاد الذين سبقوه مشرقا ومغربا، ومحاولة الإجابة عن هذه الإشكالات. كيف نظر النقاد العرب للقضية؟ وكيف كانت نظرة نقاد المغرب لها مقارنة بنقادالمشرق؟ وكيف كانت نظرة ابن البناء المراكشي لقضية الصدق والكذب؟ وما هي أوجه الاختلاف والتشابه بينه وبين النقاد؟

الكلمات المفتاحية: الصدق والكذب؛ النقد؛ نقاد المغرب؛ ابن البناء المراكشي.

Abstract:

This article seeks to question the critical achèvement of Ibn Al-Binaa Al marrakchi though his book "Al-Rawd Al-Mare Fi Al-Badia Industry" and highlight his most important critical views on the issue of truth and lies, as well as the opinions of critics who preceded him in the east and the west, and try to answer these problèmes, how arabcritics viewed the issue and how was their the critics of morocco compared it to the mashreq critics, and what was the view of Ibn al Banaa al marrakchi on the issue of truth and lies, and what are the differences and similarities between him, and the critics.

*جامعة المدية ghafel.fatna@univ-medea.dz

*جامعة المدية sbenkaba@gmail.com

Key words.the issue of truth and lies, criticism, morocco critics,
Ibn al Banaa al marakchi.

*** **

المؤلف المرسل: فاطنة غافل ghafel.fatna@univ-medea.dz

مقدمة:

يعتبر القرن السابع والثامن الهجريين من أزهى القرون في المغرب لسخائه بالعلم والعلماء، حيث خلف النقاد المغاربة تراثا تميّز بالقوة والأصالة والتفرد في توظيف الفلسفة نظريا وتطبيقا، حيث تطوّرت العلوم وازدهرت الحركة الأدبية خصوصا بعد انفتاح العرب على الآخر وتداخلت الثقافات وتلاقحت، فتأثر المغرب بنظيره المشرقي، واستفاد منه، فزاد اهتمامهم بالترجمة وكثر الأعلام في الفكر والأدب .

فخاضوا بذلك في عدة قضايا أدبية ونقدية شأنهم شأن المشرق، فاختلفت آراؤهم ومواقفهم في عدة قضايا كقضية اللفظ والمعنى، وقضية عمود الشعر، وقضية الصدق والكذب وغيرها من القضايا النقدية، ولعلّ القضية الأخيرة محل دراستنا أسالت حبرا كثيرا لتخلص إلى ثلاثة تيارات واضحة في القضية لتكون زبدة جهودهم فيها ولكل تيار أدلته وحججه في ذلك .

وابن البناء المراكشي المعروف بالعددي واحد من المفكرين المشهورين الذين كانت لهم مكانة هامة في الفكر والنقد والأدب، ويعد كتابه "الروض المربع في صناعة البديع" واحد من أهم الكتب التي ألفت في هذا العصر وأتت لجدير بالدراسة والبحث ونشر فائدته⁽¹⁾. وتهدف دراستنا إلى إبراز أهم الآراء النقدية فيه حول قضية الصدق والكذب مقارنة بنقاد المشرق والمغرب الذين سبقوه .

وقد تأسس البحث على عدة أسئلة حاولنا الإجابة عليها:

- كيف نظر نقّاد المشرق لقضية الصدق والكذب؟
 - كيف نظر نقّاد المغرب لقضية الصدق والكذب؟
 - كيف نظر ابن البناء المراكشي لقضية الصدق والكذب؟
 - ما هي مرجعياته في ذلك؟ وإلى أي مدرسة هو أقرب من خلال ما عرض؟
- وقد فرض علينا الموضوع أن نعتمد المنهج الوصفي والتاريخي في تتبع قضية الصدق والكذب في النّقد المشرقي والمغربي وصولاً إلى ابن البناء المراكشي .

2. قضية الصدق والكذب في الأثر المشرقي:

تعتبر قضية الصدق والكذب من أقدم القضايا النّقدية التي خاض فيها النّقاد القدماء، وقد كثّر الجدل حولها في النّقد العربي القديم، من خلال ما أدرجه النّقاد حول القضية ضمن ثلاث تيارات .

(1) أعذب الشّعراً صدقه .

(2) أعذب الشّعراً كذبه .

(3) أعذب الشّعراً أقصده .

وقد أدلى كل ناقد بدلوه في القضية، فكانت آراء النّقاد ومواقفهم متشابهة حيناً، ومختلفة أحياناً ولبيان هذه التيارات الثلاثة للقضية سنعرض آراء بعض نقاد العرب في القضية.

1.2 أعذب الشعر أصدقاه:

1.1.2 ابن طباطبا (ت322هـ):

ربط ابن طباطبا (ت322هـ) الشعر بالصدق من نواحي مختلفة كالصدق في التشبيه، والصدق في الشاعر، والصدق في القصيدة... الخ ورأيه يتلاءم وأساس نظريته في التناسب، فالتناسب هو سرّ الجمال⁽²⁾، والصدق صنو للتناسب الجمالي في القصيدة، وهو عمل ذهني يعرض على العقل ليقبله، أو يحكم فيه، أو العقل لا يطمئن إلا إلى الصدق وهو يستوحش من الكلام الجائر الباطل، والسلامة من الخطأ في اللفظ والتّركيب والمعنى، ويرى أنه على الشاعر أن يكون صادقاً على ذات نفسه ويكشف عمّا يختلج فيها بصدق عن الواقع، فلا يسمى الكريم بخيلاً بل لابدّ أن ينسب لكلّ وصف ما يقاربه في المعنى⁽³⁾، ونجده يقول في هذا الباب: "ولحسن الشعر وقبول الفهم إياه علة أخرى وهي موافقته للحال التي بعد معناها لها..... فإذا وافقت هذه الحالات، تضاعف حسن موقفها عند مستمعها، لاسيما إذا أيدت بما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها، والتّصريح بما كان يكتم منها، والاعتراف بالحق في جميعها"⁽⁴⁾ فابن طباطبا هنا يعتبر الشاعر الحق هو ما ينطلق من الحقيقة والواقع والصدق فيما يقوله، والشعر الحق مربوط بالصدق فما يخالف وصفه معناه فهو كذب، وهذا مرفوض عند ابن طباطبا، وهو لا يتسامح في رأيه على ما يخالف شعره الحق .

نستنتج من رأي ابن طباطبا في القضية أنه ينتصر للصدق في التصوير، ويشترط فيه عدم الغلو والمبالغة، والاقتراب من الواقع.

وضّح ابن طباطبا رأيه في الصدق التصويري أو ما سمّاه بصدق التشبيه، وما قارب الصدق من خلال قول أمريء القيس:

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشب لققال⁽⁵⁾

2.1.2 الأمدى (ت371هـ):

ونجد الأمدى ينظر لصدق المعنى، وتطابقه مع الواقع في الشعر إذ يقول: "وقد كان قوم من الرّواة يقولون: أجود الشعر أكذبه، لا والله ما أجود الشعر إلا أصدقه، إذا كان له من يلخصه هذا التّخليص ويورده هذا الإيراد على حقيقة الباب" (6).

يميل الأمدى هو الآخر مع طباطبا إلى مقولة "أعذب الشعر أصدقه"، لأنه هو ما يجعل المعنى صادقا ومطابقا للواقع في الشعر وهو ما يصلح له.

وعليه فالأمدى هنا يرى أن المعنى الصّادق والمطابق للواقع لا يكون إلا إذا كان صادقا.

2.2 أعذب الشعر أكذبه:

1.2.2 قدامة بن جعفر (ت337هـ):

ونجد قدامة بن جعفر قد غيّر من زاوية النّظر حيث جعل "الكذب" مرادفا للغلو، إذ يعتبر الغلو أفضل للشعر من الاقتصار على الوسط وكان من أنصار مؤيدي مقولة "أعذب الشعر أكذبه"، حيث نسب قدامة بن جعفر الكذب في الشعر لليونان، وبالتّحديد إلى أرسطو لأنّه جائر حسب رأيه في صناعة الشعر (7)، يقول قدامة بن جعفر في هذا السّياق: "إنّ الغلو عندي أجود المذهبين، وهو ماذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشّعراء قديما، وقد بلغني عن بعضهم أنّه قال: أحسن الشعر أكذبه... وكذا نرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم... والغلو إنّما أرادوا به المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود يدخل باب المعدوم، فإنّما يريد به المثل وبلوغ النّهاية في النعت وهذا أحسن من المذهب الآخر" (8)، حيث نجد قدامة يختلف عن موقف المتأثرين مباشرة بكتاب أرسطو، حيث نظر قدامة للمسألة من زاوية المقارنة بين الأقاويل الشعرية وغيرها من الأقاويل البرهانية والخطابية، وبما أنّ الأقاويل الشعرية قائمة على

التَّخْيِيل، فليس فيها ما في الأقاويل البرهانية من صدق⁽⁹⁾، فموقف قدامة بن جعفر إذا اختلف عن رأي ابن طباطبا والجرجاني حيث نظر إلى قضية الصّدق والكذب من زاوية أخرى، واختلف موقفه أيضا عن موقف متأثري أرسطو حيث جعل الكذب مرادفا للغلو والشعر مبني على التَّخْيِيل والذي هو الكذب .

نستنتج من موقف قدامة بن جعفر في قضية الصّدق والكذب في الشعر أنه مقرون بالغلوّ وهو المفضّل في الشعر متأثرا بذلك بالفكر اليوناني، حينما ربط القول العربي بأعذب الشعر أكذبه بالفلسفة اليونانية، وهذا ما أشار إليه الدكتور إحسان عباس حين تطرّق لهذه القضية عند قدامة بن جعفر .

2.22. أبو هلال العسكري (ت395هـ):

يرى أبو هلال العسكري (ت395هـ) من خلال كتابه "الصناعتين" أنّ أغلب الشعر قد بني على الكذب والاستحالة خصوصا في الشعر الجاهلي⁽¹⁰⁾، حيث نجده يقول: "ولا يقع الشعر في شيء من هذه الأشياء موقعا، ولكن له مواضع لا ينجع فيها غيره من الخطب والرسائل وغيرها، وإن كان أكثره قد بني على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة، والتعوت الخارجة عن العادات، والألفاظ الكاذبة من قذف المحصنات، وشهادة الزور، وقول المهتان لاسيما الشعر الجاهلي، الذي هو أقوى الشعر وأفحله وليس يراد منه إلا حسن اللفظ، وجودة المعنى، هذا هو الذي سوّغ استعمال الكذب وغيره، ممّا جرى ذكره فيه، وقيل لبعض الفلاسفة فلان يكذب في شعره، فقال: "يراد من الشاعر حسن الكلام والصدق يراد من الأنبياء"⁽¹¹⁾.

فأبو هلال العسكري من خلال ما عرضه حول القضية يرى أنّ أغلب الشعر أساسه كذب واستحالة، خصوصا في الشعر الجاهلي، وهذا ما سمح لهم باستعمال الكذب ليعطيه قوة وجمالا.

نستنتج مما سبق عرضه أنه يؤيد مقولة أعذب الشّعْر أكذبه، عكس الرّسائل والخطب والتي تتطلّب الصّدق.

3.2 أعذب الشّعْر أقصده:

1.3.2. المرزوقي (421هـ):

أضاف المرزوقي للتّيارين السّابقين "أعذب الشّعْر أصدقه" و"أعذب الشّعْر أكذبه" مقولة ثالثة لتكون المذهب الثالث للقضية وهي الإقتصاد وهي "أعذب الشّعْر أقصده" وهو مذهب لا ينفي الصّدق ولا الكذب بل هو موقف وسطي وإنّما قال: "لكلم وقف أنصاره"⁽¹²⁾.

نفهم من موقف المرزوقي أنه موقف وسط بين الصّدق والكذب وهو حسب مقصدية الشّاعر من شعره، إما أن ينحى منحى الصّدق، وإما أن ينحى منحى الكذب (الغلو، والمبالغة، والإعراق) وإما أن يكون مقتصدا بينهما.

3. قضية الصّدق والكذب في الأثر التّقدي المغربي:

1.3 قضية الصّدق والكذب عند ابن رشيق القيرواني (ت463هـ):

ونجد ابن رشيق من خلال كتابه "العمدة" لم يذكر الصّدق، ولكنه أشار إلى الكذب من فضائل الشّعْر⁽¹³⁾، حيث يقول في الكذب: "ومن فضائله أن الكذب الذي اجتمع النّاس على قبجه، حسن فيه وحسبك ما حسن الكذب واغتفر له قبجه...وقد أهدر رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- دم كعب بن زهير، فلمّا جاءه تائبا أعطى له النّبي -صلى الله عليه وسلّم- الأمان"⁽¹⁴⁾، وأنشده كعب قصيدته التي أولها:

بانّت سعاد فقلبي اليوم متبول *** متيمّ إثرها لم يفد مكبول

فلم ينكر عليه النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قوله، وما كان ليوعده على باطل بل تجاوز عنه ووهب له برده " (15).

يدعو ابن رشيح الشَّاعر إلى ابتداء المعاني وتوليدها، لأن الشَّعر حسبه يقوم على الصَّورة المبتدعة والتَّخيل اللطيف الغير مبالغ فيه، وهو بذلك يفضّل المبالغة في التَّصوير ويرفض الإغراق الَّذي لا يحترز فيه، فهو بذلك يجيز الكذب في الشَّعر لكن في مواضع ولكن دون تجاوز للواقع

نستنتج من قول ابن رشيح أنه لا يمانع من الكذب في الشَّعر لأته من فضائل الشَّعر وفي مواضع وربطه بالتَّخيل اللطيف الغير مبالغ فيه .

2.3 ابن رشد(ت595هـ):

يرى ابن رشد أنّ الاختراع ينسف المحاكاة والتي يعدها عمودا للشَّعر والاختراع هو خروج من الواقع والموجود حيث يقول بهذا الصَّد: "وظاهر أيضا ممَّا قيل في مقصد الأقاويل الشَّعرية أنّ المحاكاة التي تكون بالأمور المخترعة الكاذبة، ليست من فعل الشَّاعر، لكن الشَّاعر إنّما يتكلم في الأمور الموجودة أو الممكنة، ليس من فعل الشَّاعر في الأمور الموجودة أو الممكنة الوجود لأن هذه هي التي يقصد بها الهرب أو طلبها أو مطابقة التَّشبيه لها، على ما قيل في فصول المحاكاة" (16).

ويقول في نفس الفكرة بشيء من التَّفصيل: "وأكثر ما يجب أن يعتمد في صناعة المديح أن تكون الأشياء المحاكيات أمورا موجودة لا أمورا لها أسماء مخترعة أعني التَّصديق الشَّعري الَّذي يحرك النَّفس إلى الطلب أو الهروب، وأمَّا الأشياء الغير موجودة فليس توضع وتخترع لها أسماء في صناعة المديح إلّا أقلّ ذلك" (17).

نفهم من كلام ابن رشد أنّه يعتبر المحاكاة عموداً للشعر، ويجب أن تكون في الأمور الممكنة والموجودة، وليست مستحيلة مخترعة كاذبة لا وجود لها في الواقع مبتدعة.

وعليه فابن رشد لا يعتبر الصدق والكذب من خصائص الشعر وإنما المحاكاة التي تستفز وتثير الانفعال، ويعتبر دورهما في تعميق فاعلية التخييل والمحاكاة.

3.3 حازم القرطاجني (ت684هـ):

ويوضّح حازم القرطاجني موقفه في قضية الصدق والكذب في الشعر في معرض حديثه عن الأقاويل الكاذبة والصادقة والمحاكاة في الشعر والخطابة⁽¹⁸⁾ حيث يقول: "فأفضل الشعر ما حسنت محاكاته وهيأته، وقويت شهرته أو صدقه، أو خفي كذبه وقامت غرابته، وإن كان قد يعدّ حذقا للشاعر، واقتداره على ترويج الكذب وتمويهه على النفس وإعجالها إلى التآثر له قبل...."⁽¹⁹⁾، وعليه فحازم ينظر إلى الصدق والكذب بمنظار العقل والمنطق لتأثره بالفلسفة اليونانية وبالفلاسفة المسلمين كابن سينا والفارابي⁽²⁰⁾.

ويلخص إحسان عباس رأي حازم فيرى: "أنّ الاعتبار في الشعر ليس بالنظر إلى الصدق والكذب، بل بالنظر إلى التخييل، وأنّ الصدق والكذب أمران يرجعان إلى المفهومات لا إلى الدلالات، يخطو خطوة فيزعم أنّ الصدق أقدر على التحريك من الكذب، إذ التحريك في الصدق عام، والتّحريك في الأقوال الكاذبة خاص، ولخصوصيته كان ضعيفا، ومن ثمّ فإنّ الصدق في المواد الشعرية أفضل"⁽²¹⁾.

نفهم من كلام حازم القرطاجني من القضية أنه نظر إليها بمنظار العقل والمنطق لتأثره بالفلسفة اليونانية وبالفلاسفة المسلمين، وأنّه لا ينظر للشعر من خلال الصدق

والكذب وإنّما من خلال التّخييل والمحاكاة والصّدق والكذب ينظر إليهما من خلال الفهم، ونجده نوعا ما يميل إلى الصّدق لأنّه الأنسب حسبه إلى الشّعور.

نستنتج من رأي حازم في القضية أنّها ترتكز على التّخييل والمحاكاة في الشّعور والخطابة، ويميل إلى الصّدق في المواد الشّعورية .

4. قضية الصّدق والكذب عند ابن البناء المراكشي:

قبل التّطرّق إلى موقف ابن البناء في قضية الصّدق والكذب، لا بأس أن نعرّف به وبمؤلفه "الرّوض المرعب في صناعة البديع".

1.4 التّعريف بابن البناء المراكشي العددي:

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي، عرف بابن البناء لأن والده كان محترفا البناء، وطلب هو العلم فوصل فيه الغاية القصوى، حتى قال فيه الإمام ابن رشد المتوفي في التي توفي فيها المترجم وهو من هو: "لم أر عالما بالمغرب إلّا رجلين ابن البناء العددي المراكشي، وابن الشاط بسبته، نقله أبو السّراج في فهرسته في ترجمة شيخه الرعيّني، عنه ابن رشد" (22).

كما اشتهر بلقب "المراكشي" لأنّه ولد بمراكش ونشأ وتوفي فيها، أما الأزدي فهو نسبة إلى الأزدي وهو قبيلة عربية قديمة تنسب إلى الأزدي بن الغوث بن بنت بن مالك (23).

ولد بمراكش سنة 654هـ، وتعلّم على يد مشايخها فقرأ القرآن على يد أبي عبد الله بن مبشر، وعلى الصّالح الأجدب، والعربية على القاضي (24).

يعد ابن البناء المراكشي العددي من العلماء الأفاضل القلائل في تاريخ الأدب العربي الذين جمعوا المعرفة العلمية.

له عدة مؤلفات منها "حاشية الكشاف" و"منتهى السؤل في علم الأصول" و في الحساب "اللوازم العقلية في مدارك العلوم" واشتهر كثيرا بالرياضيات، والفلك، والتنجيم، والعلوم الخفية، وكذلك في الطب" و"الروض المرعب في صناعة البديع"... الخ أما وفاته فقد اختلف في تاريخه والسبب يرجح لكثرة من سموا "بابن البناء" وكذلك تقارب تواريخ ميلادهم ووفاتهم، فقيل توفي بمراكش عام 721هـ⁽²⁵⁾.

2.4 كتاب الروض المرعب في صناعة البديع:

يعد "كتاب الروض المرعب في صناعة البديع" من الكتب المهمة في التراث النقدي البلاغي المغربي لما يحتويه من منطق سليم وتبسيط واضح لأصول صناعة البديع وتقريب الأساليب البلاغية وتبسيطها لتقوية الفهم لكتاب الله وسنة نبيه الكريم -صلى الله عليه وسلم- وقد أشار إلى ذلك المقصد في كتابه: "وبعد فغرضي أن أقرب في هذا الكتاب من أصول صناعة البديع، ومن أساليبها البلاغية تقريبا غير مخل، وتأليف غير ممل..."⁽²⁶⁾.

ونجده قد صرح في مواضع كثيرة غرضه من تأليف هذا الكتاب، حيث قال في خاتمة كتابه "وهذا الذي ذكرناه في هذا الكتاب يعرف التفاضل في البلاغة والفصاحة، وهو قدر كاف في فهم ذلك في كتاب الله وسنة نبيه وفي المخاطبات كلها"⁽²⁷⁾.

فتناول الكتاب في الباب الأول: مقدمات في البلاغة والبديع كالدلالة، وأقسام الكلام، صناعة البديع وموقعها في البلاغة، وفي الباب الثاني: تناول أقسام اللفظ من جهة مواجهة المعنى نحو الغرض المقصود، كالخروج من شيء بشيء، تشبيه شيء بشيء، تبديل شيء بشيء، تفصيل شيء بشيء، وفي الباب الثالث: تناول أقسام اللفظ من جهة دلالته على المعنى، كالإيجاز والاختصار، والإكثار، والتكرير، ثم خاتمة الكتاب⁽²⁸⁾.

وما يهمننا في روضه النفيس البحث في قضية الصدق والكذب من خلال تحديد موقفه فيها .

3.4 قضية الصدق والكذب عند ابن البتاء المراكشي:

تطرقنا فيما سبق لأراء النقاد في المشرق والمغرب في قضية الصدق والكذب، وسنأتي الآن لثري كيف نظر ابن البتاء للقضية، من خلال كتابه "الروض المرعب في صناعة البديع"، حيث قسم ابن البتاء الكلام إلى منظوم ومنثور ومن خلاله يفصل في أيهما يكون القول فيه الصدق والكذب بقوله: "ينقسم القول إلى موزون مقفى وهو المنظوم، وإلى غير ذلك وهو المنثور ويستعمل كل منهما في المخاطبات، وهي خمسة أنحاء على ما أحصيت قديماً"⁽²⁹⁾.

نفهم من قول ابن البتاء أن الكلام ينقسم إلى شعر ونثر ومن خلاله يفصل في أي القول يكون الصدق والكذب.

وعليه فالكلام عنده شعر ونثر وفيه يظهر الصدق والكذب من خلال خمسة أوجه والكذب .

ويوضح بتفصيل مواطن الصدق في القول فيقول: "الأول البرهان وهو الخطاب بأقوال اضطرارية يحصل عنها اليقين، والثاني الجدل، وهو الخطاب بأقوال مشهورة يحصل عنها الظن الغالب، والثالث الخطابة، وهو الخطاب بأقوال مقبولة يحصل عنها الإقناع، وهذه الأقسام الثلاثة هي التي تستعمل في طريق الحق"⁽³⁰⁾.

حيث يستدل عن قوله هذا بقول الله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽³¹⁾.

يفصل ابن البتاء قوله السابق لتوضيحه لمواطن الصدق من خلال ثلاث أوجه له وهي حسبها من الحكمة وتستعمل في طريق الحق والعلم.

وعليه فابن البناء يعتبر الأقسام الثلاثة للقول هي التي تمثل الصدق.

أما النوع الرابع الذي استدلّ به ابن البناء والذي يمثل عنده الكذب وهو الشّعْر، حيث يقول: "الرابع الشّعْر وهو الخطاب بأقوال كاذبة مخيَّلة على سبيل المحاكاة، يحصل عند استفزازه بالتوهّمات، والخامس المغالطة، وهو الخطاب بأقوال كاذبة يحصل عنها ظهور ما يسمى بحق أنّه حق، وهذان القسمان خارجان عن باب العلم وداخلان في باب الجهل.⁽³²⁾...ثم يواصل شرح نفس الفكرة فيقول: " وكل ما في التشبيه من كذب أو غلو، فلا يكون في الحكمة ويكون في الشّعْر؛ لأنه مبني على المحاكاة والتخييل لا على الحقائق، ولذلك اختص الشّعْر بأنواع ليست من البديع بحسب اللسان؛ إذ الشّعْر منه، ولكن ليس للشاعر أن يحاكي ويتخيّل في الشيء ما ليس موجودا أصلا لأنه إذا فعل ذلك لم يكن محاكيا بل يكون مخترعا، فيركب الكذب في قوله فتظل المحاكاة لكذبها، وهي موضوع الشّعْر"⁽³³⁾.

نفهم من كلام ابن البناء في هذين القسمين للقول أنّهما يدخلان في الكذب والجهل ويمثلهما الشعر والذي يستعمل فيهما التخييل والمحاكاة لاستفزاز العقل بالتوهّمات والكذب والجهل، إضافة إلى القسم الخامس وهو المغالطة والذي يعني عنده الكذب والذي يقود إلى الجهل ثم يوضّح ذلك من خلال شرحه للقسمين السابقين للكذب بأنّهما لا يدخلان في الحق الذي هو الصدق بل يدخلان في الكذب الذي هو الجهل وقد ربطهما بالغلو والاختراع والتخييل والمحاكاة، وفرّق بين الشّعْر والحكمة باعتبار الشّعْر مبني على التخييل والمحاكاة .

وعليه فالكذب عنده هنا في الشعر يستعمل فيه التخييل والمحاكاة والمغالطة تقود إلى الجهل والكذب، وهذا ما صرح به من خلال ما عرضناه سابقا أن النوع الرابع والخامس يدخلان في الكذب وهو الجهل، وبالتالي فالخطابة تختص بأساليب الحقائق،

والإقناع والحجاج... الخ وهذا يحيلنا إلى أن ابن البناء يقر بجواز الكذب والغلو في الشّعر.

ونجده في موضع آخر يضع شروطا ليجيز الكذب، وقد ناقش قضية الصّدق والكذب في الشّعر، حيث ربط ذلك بنظرية المحاكاة والتخييل، فدَلّ حديثه فهما على فهمه العميق لهما، وتمثّله لعلاقة الشّعر بهما لاعتبار أن الصّدق والكذب في الجوهر تطلع المبدع إلى عالم المثل. (34) حيث يقول ابن البناء في هذا الصّدق: "ليس الشّاعر أن يحاكي أو يتخيّل في الشّيء، ما ليس موجودا أصلا لأنّه إذا فعل ذلك لم يكن محاكيا بل يكون مخترعا، فيتربّغ الكذب في قوله فتبطل المحاكاة لكذبها وهي موضوع الشّعر" (35) ويقول في موضع التّشبيه الذي يعني الكذب والغلو: "وكل ما في التّشبيه من كذب وغلو، فلا يكون في الحكمة ويكون في الشّعر، لأنه مبني على المحاكاة التّخييل لا على الحقائق." (36)

نفهم من كلام ابن البناء أنه إذا كان التّشبيه كذب ومبالغة وتجاوز للواقع فلا يعد صادقا ولا ننسبه للحكمة، بل هو كذب وغلو، والكذب يكون في الشّعر لأنّه يعتمد على التخييل والمحاكاة .

ويدلّل على الرّأي معترضا قول الشّاعر:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت *** وردا وعضّت على العنّاب بالبرد

فقيل: الصّواب لو قال:

فأمطرت بردا من نرجس وسقت *** وردا وعضّت على العنّاب بالدّرر

ويعلّل على هذا القول فيقول: "أن إمطار اللؤلؤ غير معروف فقد حاكي الدّمع

في انسكابه على خدّ ما بشيء غير موجود ولا معلوم إلا من عنده اخترعه من نفسه "

حيث يرجع ويؤكد رأيه الأوّل فيقول: "وينبغي أن يكون التّشبيه شريفاً، ممّا يتكلم به الرّؤساء والأشراف لا خسيساً سوقياً عامياً"⁽³⁷⁾.

نستنتج من خلال ما تقدّم من آراء ابن البناء المراكشي العددي في قضية الصّدق والكذب أنّه يعرض رأيه بشكل صريح، ويعترض على الكذب المحال؛ أي اختراع شيء لا وجود له في الواقع، وبعد ذلك ينقل لنا الرأى المخالف له فيقول أن رأيه يجعل من الكذب أنسب لصناعة الشّعور أن رأى غيره يجعل من الكذب أنسب لمعناه، حيث يرى ابن البناء أن جوهر الشّعور وعموده هو التّخييل والمحاكاة، وأن الكذب والغلو ملتصق بهما.

ويرى ابن البناء أن القول الصّحيح والقريب إلى الصّدق: "وحسن معنى الكلام وصلاحه وصحّته إنّما هو ببنائه على الصّدق وقصده إلى الجميل وظهوره بالبرهان...وحسن اللفظ وصلاحه إنّما هو بالقصد إلى المستعمل في زمان الخطاب، وعلى قدر من يخاطب، والإيضاح على أحسن ما يقدر عليه من التّسهيل والتّقريب ولذلك كان أفصح الخلق -صلى الله عليه وسلّم- لا يقول الشّعور"⁽³⁸⁾.

ونفهم هنا من كلام ابن البناء تفريقه بين الخطاب الديني المبني على الصّدق والوضوح ويعترف أن كتابه "الرّوض المريع في صناعة البديع" هو جهد في هذا الصّدق، وأن الخطاب الشّعوري مبني على الأساليب البديعية والخيال والاختراع باعتباره لغة، وكذلك باعتباره مبني على الكذب والتّخييل والمحاكاة والغلو لإحداث صناعة شعرية.

يقول ابن البناء لتوضيح منهجه في الكتاب بصفة عامة:

قصدت إلى الوجاهة في كلامي ***لعلمي بالصّواب في الاختصار.

ولم أحذر فهو ما دون فهمي ***ولكن خفت أزرأ الكبار.

فشأن فحولة العلماء شأني ***وشأن البسط تعليم الصّغار.⁽³⁹⁾

وعليه فموقف ابن البناء أصبح واضحاً من قضية الصدق والكذب، فهو يعتبر القول الصادق والواضح في الخطاب الديني الخلقي وهذا هو مقصده من الكتاب، وكل قول كاذب مبني على البديع والخيال والصناعة باعتباره لغة واللغة تحتاج إلى الكذب والتخييل والمحاكاة هو الخطاب الشعري.

5. أوجه الاختلاف والاتفاق في قضية الصدق والكذب بين ابن البناء والنقاد:

اتّضح من خلال ما عرضناه من آراء لبعض نقاد المشرق والمغرب وآراء الفلاسفة المسلمين، وكذا رأي ابن البناء في قضية الصدق والكذب، أنّ ابن البناء قد اتفق مع ابن رشد وحازم القرطاجني في نسبة الشعر إلى التخييل والمحاكاة باعتبارهما عموده، والتي تصبّ في الاتجاه الفلسفي⁽⁴⁰⁾.

وقد استفاد أيضاً من جهود من سبقوه من نقاد المشرق ومنهم قدامة بن جعفر بشكل واضح في رأيه في قضية الكذب والغلو، فهو يرى أن الغلو جائز، وقد اعترض على من أنكروه، شريطة، أن يكون بقصد المبالغة، وليس بقصد الخروج عن الموجود والدخول في المعدم أي المحال⁽⁴¹⁾.

نفهم مما سبق أن النقاد انقسموا في نظرتهم إلى قضية الصدق والكذب إلى:

- فريق اختلف منذ القدم حول المصطلحات بين من يجيز وقوعها في الشعر مستندا إلى التراث الأدبي وهذا ما ذهب إليه ابن البناء، وابن رشد، وحازم القرطاجني.

- وفريق رفض الكذب والغلو ويعتبرها مذهبا للعاجزين من الشعراء، أو أنّها تفسد أساليب القول الشعري.

- وفريق يقبلها بشروط وهذا ما ذهب إليه ابن البناء عندما استند في تفضيله للغلو بشرط عدم الخروج إلى المحال والاختراع، وهو بذلك يتفق مع قدامة بن جعفر في هذا الرأي.

- ونجده أيضا يشترك ورأي أبو هلال العسكري في اعتبار أن الشَّعر لا يقع ولا ينجح إلا بالكذب الفئِّي، والصدِّق لا يكون إلا في الخطب والرَّسائل، وهو بذلك قد لمَّح إلى الكذب الفئِّي⁽⁴²⁾.

وعليه فابن البناء المراكشي نجده قد استفاد ممن سبقوه من النَّقاد مشرقا ومغربا وفلاسفة، وأخذ زبدة جهودهم أساسها أن لا يخرج الكذب عن ما هو محال، ولا يكون الكذب إلا في الشَّعر كونه مبني على التَّخييل والمحاكاة، أما الخطب والرَّسائل فهي مبنية على الصدِّق.

فابن البناء المراكشي إذا من خلال ما تقدّم نجده متأثرا بمدرسة فلاسفة المسلمين وبالفلسفة اليونانية التي بدت واضحة من خلال ميله إلى استخدام مصطلحاتهم في اعتبار التَّخييل والمحاكاة هما عمود الشَّعر وباعتبار قدامة بن جعفر، وابن رشد، وحازم القرطاجي ممن تأثروا بالفلسفة اليونانية، وفن الشَّعر لأرسطو فكان ذلك واضحا عنده من خلال توظيفه لما وصلوا إليه في شرح عدة قضايا نقدية وبلاغية، وهذا ما لاحظناه في عرضه لموقفه من قضية الصدِّق والكذب.

6. خاتمة:

وفي ختام بحثنا نخلص إلى النَّتائج التَّالية:

- تنوعت مواقف النَّقاد العرب القدامى حول قضية الصدِّق والكذب، فهي لا تخرج عن ثلاث تيارات: منهم من رأى أن "أعذب الشَّعر أصدقته"، ومنهم من رأى أن "أعذب الشَّعر أكذبه"، ومنهم من رأى أن "أعذب الشَّعر أقصده".

- جمع ابن البناء جهود النَّقاد كقدامة بن جعفر، وابن رشد، وحازم القرطاجي واعتبر التَّخييل والمحاكاة عمودا للشَّعر، والذي يعني عندهم الكذب المسموح للصَّناعة الشَّعرية.

- اعتبر الأساليب البلاغية كالمبالغة والغلو والإغراق والتّخييل والمحاكاة دليلاً لمقبولية الكذب في الشّعر ليضمن الشّاعر جمالية شعره وإبداعه.
- وظّف ابن البتّاء ما أخذه من نقّاد المشرق والمغرب وفلاسفة المسلمين، وعمل بها في تجربته النّقديّة والبلاغية من خلال كتابه "الرّوض المريع في صناعة البديع"، وجعل لقضية الصّدق والكذب شروطاً تتوافق وآراء من سبقوه.

*** **

6. الهوامش:

- ¹ ابن البتّاء المراكشي، الرّوض المريع في صناعة البديع، ت/رضوان بنشقرن، 1985، ص 11.
- ² 'حسان عباس، تاريخ النّقْد الأدبي عند العرب، دار الثّقافة، لبنان، ط1، 1997، ص 34.
- ³ المرجع السّابق، ص 34.
- ⁴ ابن طباطبا العلوي، عيار الشّعر، شرح وتحقيق عباس عد السّاتر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص 22.
- ⁵ المرجع السّابق، ص 28.
- ⁶ أبو القاسم بن بشر الأمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري، ت/أحمد صقر، ط 4، دار المعارف، القاهرة، مطبعة حجازي، 1944، ص 58.
- ⁷ مصطفى الجوزو، نظريّات الشّعر عند الشّعر، دار الطليعة، بيروت، ط1، ج1، 1981، ص 49.
- ⁸ قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، ت/عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص 37.
- ⁹ إحسان عباس، تاريخ النّقْد الأدبي عند العرب، ص 35.
- ¹⁰ حميد قبائلي، في قضايا النّقْد العربي القديم، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1، 2021، ص 137.
- ¹¹ أبو هلال العسكري، الصنّاعتين، ت/علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العلمية، ط1، 1952، 136/137.
- ¹² إحسان عباس، تاريخ النّقْد الأدبي عند العرب، ص 36.
- ¹³ حميد قبائلي، في قضايا النّقْد العربي القديم، ص 138.
- ¹⁴ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، ت/محمد محي الدين عبد الحميد، دار جبل، ط5، 1981، ص 24/23/22.
- ¹⁵ إحسان عباس، تاريخ النّقْد الأدبي عند العرب، ص 36.
- ¹⁶ أبو الوليد بن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشّعر، ت/الدّكتور محمد سليم سالم، دار كاتب، كتاب/23، القاهرة، 1970، ص 89.
- ¹⁷ المرجع السّابق، ص 90.
- ¹⁸ حميد قبائلي، في قضايا النّقْد العربي القديم، ص 141.

- ¹⁹ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت/محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط3، تونس، 1986، ص72/71 .
- ²⁰ حميد قبائلي، في قضايا النّقد العربي القديم، ص142 .
- ²¹ إحسان عباس، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، ص556/55 .
- ²² السّملاوي العباس بن إبراهيم، الأعلام بمن حل بمراكش بأغمامات من الأعلام، المطبعة الملكية، ط2، ج2، الرباط، 1993، ص202 .
- ²³ عمر علي شوقي، ابن البناء المراكشي وكتابه مراسم طريفة في فهم الحقيقة في حال الخليفة، كلية الدّراسات العربية الإسلامية، جامعة القاهرة، 1996، ص10 .
- ²⁴ أحمد بابا التنبكي، الإبهاج بتطريز الديباج، ت/الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دارالكاتب، ط2، 2000، طرابلس، ص84/83 .
- ²⁵ خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار الملايين، ط5، ج1، بيروت /لبنان، 2012، ص222 .
- ²⁶ ابن البناء المراكشي، الروض المرجع، ص20 .
- ²⁷ المرجع السابق، ص20 .
- ²⁸ المرجع السابق، ص217/214 .
- ²⁹ المرجع السابق، ص81 .
- ³⁰ المرجع السابق، ص81 .
- ³¹ المرجع السابق، ص81 .
- ³² المرجع السابق، ص82 .
- ³³ المرجع السابق، ص32 .
- ³⁴ المرجع السابق، ص103 .
- ³⁵ عبد الجليل شوقي، ثنائية الصّدق والكذب، مقالة .
- ³⁶ الرّوض المرجع، ص103 .
- ³⁷ المرجع السابق، ص104 .
- ³⁸ المرجع السابق، ص174 .
- ³⁹ المرجع السابق، ص44 .
- ⁴⁰ عبد الجليل شوقي، ثنائية الصّدق والكذب .
- ⁴¹ المرجع السابق .
- ⁴² أبو هلال العسكري، الصّناعتين، ص137 .